د. رياض مصطفى أحمد شاهين (*)

النشـاط الاقتصـادى
لليهود فى الحجاز قبل الإسلام

ملخص البحث:

تناولت بالدراسة موضوع النشاط الاقتصادى لليهود فى الحجاز قبل الإسلام لما لهذا الجانب من أهمية ، وخصوصاً لفهم الموقف الحاسم الذى اتخذه الرسول محمد ﷺ من هؤلاء اليهود ، والذى انتهى أخيراً بإجلائهم عن مراكزهم ، والقضاء على تجمعاتهم . حيث أن للعامل الاقتصادى أهمية لا تقل عن أهمية العامل الدينى فى الصراع الذى نشب بين اليهود والمسلمين ، فلقد رأى اليهود أن مجىء الإسلام وحلوله بين ظهرانيهم فى المدينة هو نهاية نفوذهم ومكاسبهم الاقتصادية التى حققوها طوال الفترات السابقة .

ولقد حاولت فى بحثى هذا أن أتطرق فى البداية للوجود اليهودى فى الحجاز حيث تناولت موقع الحجاز ، ودلالات هذا الموقع لموطن هؤلاء اليهود ، مبيناً أن اليهود استوطنوا بالأصل مناطق الواحات التى تمتاز بمياهها الكثيرة وتربتها الخصبة ، مما جعل منها محطات مهمة على طرق القوافل التجارية ، بالإضافة إلى أن ذلك أتاح لليهود ممارسة مهنة الزراعة.

وتناولت أيضًا فعاليات اليهود الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ، والتى كانوا يمارسونها فى المدينة المنورة ، مما جعلها مجتمع الموارد المتنوعة ، لم يطغ فيها جانب من الجوانب الاقتصادية على الآخر .

---

* أستاذ مشارك فى التاريخ الإسلامى بالجامعة الإسلامية – غزة .

وأخيراً تحدثت عن العلاقات الاقتصادية التى تربط اليهود مع التجمعات السكانية الأخرى التى تسكن المدينة وهم الأوس والخزرج ، وأثر ذلك الجانب الاقتصادى فى خلق وإذكاء التنافس الواقع بين الطرفين ، وحاولت أن أربط بينها وبين مواقف الأطراف الخارجية خلال هذه الفترة .

الوجود اليهودى في الحجاز :

أ – موقع الحجاز :

لابد لنا قبل الدخول فى تفصيلات الوجود اليهودى فى الحجاز من تحديد الإطار الجغرافى لإقليم الحجاز لما لهذا الموقع من انعكاس على دور هذا الإقليم والفعاليات الاقتصادية ، التى مارسها سكانه ، سواء التجارة أو الزراعة .

والذى يلاحظ من الوصف الجغرافى الذى تقدمه لنا كتب الجغرافيا الإسلامية بأن حدوده لم تكن ثابتة ، وغالبًا ما تتداخل هذه الحدود بينه وبين أقاليم شبه الجزيرة العربية الأخرى وهى تهامة والعروض واليمن بالإضافة إلى الحجاز(١)، فمن ناحية الامتداد الجغرافى للحجاز نلاحظ بأنه كان يمتد شمالاً حتى تبوك ، ويتراجع من الناحية الجنوبية إلى ما وراء مدينة يثرب(٢). وفى بعض الأحيان تدخل مدينة يثرب مع منطقة نجد المجاورة لها (٣). كما تضاف اليمامة إلى الحجاز مع مكة والطائف(٤). ويكاد معظم الجغرافيين يتفقون على أن الحجاز هى المنطقة المحصورة بين تهامة ونجد(٥) والممتدة على محاذاة البحر الأحمر من العقبة شمالاً وحتى عسير جنوبًا وهى عبارة عن سلسلة جبال تعرف بجبال السراة (٦). ويتمشى مع هذا التحديد ما حدده القزوينى حيث يقول " بأنه حاجز بين الشام واليمن وهو مسيرة شهر " (٧)، وتحديد المسعودى الذى يحدده بقوله " إنه حاجز بين اليمن والشام والتهائم " (٨). والهمدانى " وهو ما حجز بين الشام واليمن "(٩) وما يصفه البكرى " ما احتجز به فى شرقية من الجبال ، وانحاز إلى ناحيته بين الجبلين " أجا وسلمى " إلى المدينة . ومن بلاد منحج تثليث وما دونها إلى ناحية فيّد ، فذلك كله الحجاز " (١٠).

ويشتمل الحجاز على عدة مدن أهمها مدينة مكة ومدينة يثرب ، والطائف ، وخيبر ، ووادى القرى . ولقد لعبت الاعتبارات الجغرافية والدوافع الاقتصادية دوراً كبيراً فى نشوء هذه المدن الحجازية وتطورها . فمن الحجاز كان يمر أحد الروافد الأساسية للتجارة وطريق مهم فى

طرق التجارة البرية المعروفة فى تلك الفترة ، وهو الطريق الذى يبتدئ من موانى اليمن غربيًا مخترقًا تهامة الحجاز مارًا بمكة ويثرب حتى يصل إلى أيلة على خليج العقبة ثم موانىء البحر المتوسط شرقًا (١١).

وبعد الحصار الذى لحق بتدّمر على أيدى الرومان وتراجعها عن الدور الذى كانت تلعبه فى السابق . كان هذا فرصة للعرب فى الجزيرة بأن يسيطروا تدريجيًا على هذا الطريق ، وساعدهم على ذلك معرفتهم بالبادية ودروبها ، وتعودهم على الحياة فيها . كما ساعدهم على ذلك أيضًا نوعية الحيوان الذى يركبونه ، فالجمل هو الحيوان الوحيد القادر على السير فى الصحراء ولمدة طويلة ونقل التجارة ، وقيامهم بتنظيم القوافل عبر هذه الصحراء (١٢).

وساعد الازدهار التجارى على ازدهار المدن الحجازية والتى نشأت بالأصل كمحطات على طرق القوافل التجارية لتقديم الخدمات التى تحتاجها هذه القوافل من ماء ورعى للإبل حيث ساعدها على هذا الازدهار وجود المياه وحصانة الموقع ، والمتوفر لهذه المحطات جميعها سواء مكة والتى يمكن إعطاء وصفها بعض الخصوصية لوجود الحرم ، ومما استتبع ذلك من مكانة دينية ميزتها عن بقية مدن الحجاز إلا أن يثرب والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى وتيماء هى بالأصل أراضى خصبة لوجود المياه فيها ، حيث توفر هذه المناطق خدمات إسنادية لحركة القوافل مثل التزود بالماء والغذاء المناسب استعدادًا لقطع مسافة أخرى داخل هذه الصحراء .

ب – أصل يهود الحجاز :

أما الخوض فى مسألة الوجود اليهودى فى الجزيرة العربية وفى شمال الحجاز بالذات ، فهى مسألة بالغة التعقيد ، ولا تخلو من منزلقات خطيرة يجب أن نكون حذرين من الخوض فيها ، إلا بالقدر الذى يخدم موضوع البحث وانعكاسات هذا الوجود اليهودى على نشاطاتهم الاقتصادية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام .

إن بعض رواياتنا تؤكد أن اليهود هم من القبائل العربية المتهودة ، فذكر اليعقوبى أن أشهر قبائل اليهود وهى بنو النضير وبنو قريضة التى استوطنت يثرب تنتميان إلى قبيلة جذام اليمانية التى هاجرت إلى الحجاز ، والتى استقرت – بعد اعتناقها اليهودية – فى مدينة يثرب(١٣) وأما القبيلة الثالثة التى سكنت المدينة وهى قبيلة قينقاع فهى من بقايا الجماعة التى رافقت سيدنا موسى عليه السلام ، للحج (١٤)، حيث تخلفت جماعة منهم ، وسكنت فى موضع سوق قينقاع ، فكانوا أول من سكنوا موضع المدينة (١٥).

ويلاحظ أنه بالمقابل لهذا الرأى هناك رأى آخر فحواه أن اليهود هاجروا إلى الحجاز من بلاد الشام فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد بعد نجاح الرومان فى فرض سيطرتهم على بلاد الشام ومصر ، وعلى اليهود ودولة الأنباط فى القرن الثانى بعد الميلاد ، مما أدى إلى هجرة هذه القبائل اليهودية إلى الحجاز ، التى كانت بعيدة عن السلطة الرومانية (١٦).

واستمرت هذه الهجرة اليهودية بشكل متزايد بعد فشل التمرد اليهودى ضد الرومان ، وهى الثورة التى قضى عليها القائد الرومانى تيطس عام (٧٠م) ، وثورة أخرى أفشلها الإمبراطور هادريان بين عامى ١٣٢ - ١٣٥م (١٧).

لقد كانت فلسطين هى الامتداد الطبيعى للحجاز ، وكان من الطبيعى أن يكون هناك اتصال لسكانها بالحجاز ، واتصال مقابل لسكان الحجاز بفلسطين ، وقيام جاليات يهودية بالذهاب إلى الجزيرة العربية للاتجار والإقامة (١٨)، ويجعل ابن الكلبى هذه العلاقة قديمة منذ استيلاء نبوخذنصر على فلسطين ، " حيث أجلى من أجلى وسبى من سبى من بنى إسرائيل فلحق قوم منهم بناحية الحجاز فنزلوا وادى القرى وتيماء ويثرب . وكان فى يثرب قوم من جرهم وبقية من العماليق - وهم بنو عملاق بن أرفخسد بن سام بن نوح - قد اتخذوا النخل والزرع فأقاموا معهم ، وخالطوهم فلم يزالوا يكثرون وتقل جرهم والعماليق حتى نفوهم عن يثرب واستولوا عليها " (١٩).

ولكن أبا الفرج الأصفهانى يجعل هذه الهجرة من فلسطين ذات صبغة سياسية حيث يقول: " ثم ظهرت الروم على بنى إسرائيل جميعًا بالشام فوطئوهم ، وقتلوهم ، ونكحوا نسائهم ، فخرج بنو النضير وبنو قريضة ، وبنو هدل هاربين منهم إلى من بالحجاز من بنى إسرائيل "(٢٠).

إن هذا التضارب بين هذه الروايات قاد إلى حيرة واسعة بين المؤرخين القدامى والمحدثين الذين حاولوا أن يعرضوا لتاريخ اليهود ، فهناك من يعتبرهم عربًا ، وبعضهم يعتبر أن بعض القبائل العربية قد تهودت وليس كلها بفعل معاشرتها ومجاورتها لهذه القبائل اليهودية ونرى البعض الآخر يحاول تفسير هذا الاضطراب بأن هناك هجرتين يهوديتين من فلسطين إلى الحجاز ، وأن مهاجرى النّور الثانى كانوا أكثر سلمية من مهاجرى النّور الأول حيث يقول إسرائيل ولفنسون " إنهم كانوا مجرد ضيوفًا مضطرين ، نزلوا على أبناء جلدتهم فاستقبلهم هؤلاء بالحفاوة والترحيب إذ كانوا يعلمون أنهم فارون من مخالب النسر الرومانى حيث سهل هذا الامتزاج بين هؤلاء " (٢١).

إن للهجرة اليهودية خلفية سياسية أكثر منها دينية ، عندا هربوا من الاضطهاد فى فلسطين والذى وصل ذروته فى العصر الرومانى (٢٢)، وأنه ليس من السهولة تحديد هوية اليهود الحجازيين ومدى جدية انتماء بعضهم للأصل العربى ، وعدم صحة نسبة بعضهم كبنى قينقاع مثلاً إلى العنصر العربى .

ويرى إبراهيم بيضون – أنه بغض النظر عن أصل المنطقة التى وفدوا منها والتى تبقى مجرد فرضيات . كل منها له ما يؤيده يبقى أن نقول : " بأنهم ظلوا جسماً غريباً عن المنطقة ولم يتطبعوا بحياة أهلها إلا بمقدار مصالحهم الخاصة ، وأن العلاقة بين العرب واليهود لم تخلو فى محورها من الاحتقار المتبادل . ولم يتأثر العرب بالديانة اليهودية على الرغم من أنها دين سماوى ، ورغم تفوق اليهود الاقتصادى والسياسى " (٢٣). فإننا نرى أن اليهود هم الذين تأثروا بالعرب وهذا ما سنراه لاحقًا فى ثنايا هذا البحث .

جـ – مواطن اليهود فى الحجاز :

لقد استوطن اليهود أخصب مدن الحجاز ، تلك التى تتوفر فيها الشروط المثلى للإقامة كخصوبة التربة ، وتوفر المياه والموقع الاستراتيجى المهم والمسيطر على الطرق التجارية . وأكبر هذه المواطن اليهودية وأهمها فى الحجاز هى مدينة يثرب التى وصفت على أنها أقل من نصف مكة (٢٤)، وموقعها الاستراتيجى المهم على عقدة المواصلات الرئيسية لتجارة الشام حيث يصفها ياقوت على أنها " حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه " (٢٥). وهى واحة خصبة التربة غزيرة المياه محصورة بين لابتين بركانيتين تعرفان بالحرتين ، حرة واقم فى الشرق وحرة السويرة فى الغرب . وتحيط بها الوديان فى جهاتها الأربع ، وتسير فيها الأودية مثل وادى بطحان ووادى مهزوز ووادى رانوناء . وتسير أودية المدينة منحدرة من الجنوب إلى الشمال ويسير مع انحدارها مياه الأمطار فيها جنات ذات نخل وبساتين تنبت أشجار الفاكهة"(٢٦).

وتشير الإشارات المتوفرة فى مصادرنا ، بأن اليهود هم أول من استوطنوا يثرب "فلما قدم بنو النضير ، وقريضة وهدل المدينة ، نزلوا الغابة فوجدوها وبيئة فكرهوها ، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً سواها، فخرج حتى أتى العالية وهى بطحان ومهزوز واديان من حرة على تلاع الأرض عذبة، بها مياه عذبة، تنبت حُرُّ الشجر فرجع إليهم فقال قد وجدت لكم بلداً طيبًا نزهًا على حرة يصب منها واديان على تلاع عذبة، ومدرة طيبة فى متأخر الحرة"(٢٧).

إن أشهر القبائل اليهودية التى سكنت يثرب هم بنى النضير وبنى قريضة ، حيث سكنوا حرة واقم فى الناحية الشرقية من يثرب ، وهى أخصب المناطق ، وهم ما يطلق عليهم لقب سكان العوالى (٢٨). وأما قبيلة بنى قينقاع فقد سكنت الجزء الجنوبى الغربى من واحة يثرب(٢٩). ومنطقة السافلة ، أما بقية قبائل اليهود ، فكانت منتشرة فى أماكن متعددة من مناطق يثرب الغنية ، فبنو بهدل (هدل) وبنو عوف كانوا إلى جوار قبيلة بنى قريضة ، وتنزل بنو القصيص وبنو ناغضة بقباء ومنازل بنى مرير وبنى معاوية وبنى ماسكة ، تقع شمالى وادى مهزوز وبنو زعوراء سكنوا منطقة العوالى قرب مشربة أم إبراهيم ... والتى كانت تسمى الملك أو فراقة النمل (٣٠). وبنو عكرمة (عكوه) وبنو مراية ، سكنوا طرف حرة واقم شمالى منازل بنى حارثة (فى الأوس) ، بينما كانت ثعلبة وجماعات غيرهم من اليهود يسكنون قرية زهوة بناحية واحة العريض . كما كان يعيش فى شمالى يثرب ويقرب جبل أحد جماعات من اليهود(٣١).

إن هذا الاستعراض لمواقع اليهود فى يثرب يثبت أن اليهود كانوا يسكنون أخصب مناطق يثرب وأغناها (٣٢). مما كان له الأثر الفعال فى نشاطهم الاقتصادى فى يثرب . ويمكننا أن نقول وبشىء من الثقة أن اليهود الذين سكنوا الناحية الشرقية من يثرب أو العوالى كما تسميهم مصادرنا ، كانوا يتمتعون بالغنى والمكانة الاجتماعية المرموقة أكثر من غيرهم الذين سكنوا النواحى الأخرى فى يثرب .

وأشهر المواطن اليهودية بعد يثرب هى خيبر التى عرفت قبل الإسلام بأنها ريف الحجاز(٣٣) وهى على ثمانية أميال من المدينة لمن يريد الشام وتشمل هذه المنطقة على سبعة حصون وبها مزارع نخل كثير ، وأسماء حصونها : حصن ناعم ، والقموص ، وحصن أبى الحقيق وحصن الشق ، وحصن النطاة والسلالم وحصن الوطيح ، والكتيبة ، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن (٣٤).

ومن مواقعهم المشهورة أيضاً فدك ، وسكانها مثل أغلب يهود الحجاز ، امتهنوا الزراعة واشتغلوا بالتجارة وبعض الحرف التى تخص اليهود مثل الصياغة والحدادة ، والنجارة (٣٥).

ووادى القرى وسمى بهذا الاسم لأن به من أوله إلى آخره قرى منظومة ، وكانت قديماً منازل ثمود وعاد ، وبها أهلكهم الله ، ونزلها بعدهم اليهود ، واستخرجوا عظائمها وأساحوا عيونها وغرسوا نخلها (٣٦).

وكانت أيضاً تيماء والتى فيها حصن الأبلق وهو حصن السموءل بن عاديا اليهودى(٣٧)، وكان أيضًا بين أهل مقنا وأيلة فى أيام الرسول قوم من اليهود ، وكذلك أهل بقية القرى الواقعة فى أعالى الحجاز وعلى ساحل البحر . ومن هؤلاء اليهود بنو جنّة ، وهم يهود مقنا(٣٨)، وبنو عاديا(٣٩) ، وبنو عريضة (٤٠).

ولا يستبعد أن يكون هناك قوم من اليهود بالطائف ، ولكنهم كانوا قلة حيث يتكرهم البلاذرى " حينما صالح أهل الطائف الرسول " : فصالحهم على أن يسلموا ويقرهم على ما فى أيديهم من أموالهم وركازهم ، واشترط عليهم أن لا يرابوا ولا يشربوا الخمر ، وكانوا أصحاب ربا ، وكان بخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا بها التجارة ، فوضعت عليهم الجزية . ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف (٤١)، ولا يستبعد أن يكون قد قدم الطائف جاليات يهودية جاءت إليها من اليمن ويثرب إبان الاضطرابات السياسية .

ويظهر أنه كان هناك وجود يهودى فى مكة قبل الإسلام ، وإن كنا لا نستطيع أن نجزم بصحة هذا الوجود الذى يظهر أنه كان متعلقًا أساسًا بالنشاط التجارى ولا تخرج عن كونها صورًا من الإقامة الفردية . مثل ذلك الإشارة التى ترد عن اليهودى الذى كان يقيم بجوار عبد المطلب بن هاشم ، الذى حرض حرب بن أمية على قتله لنشاطه التجارى الواسع (٤٢).

ويرى جواد على أنه يمكن الإشارة إلى وجود جاليات من اليهود فى المدن التى اشتهرت بالتجارة كبعض موانئ البحر الأحمر وموانئ سواحل العربية الجنوبية ، غير أن وجودهم فى هذه المواضع لم يكن له أثر واضح حيث لم يتجاوز محيط التجارة والاتجار (٤٣).

النشاط الاقتصادى لليهود فى الحجاز :

إن الحديث عن النشاط الاقتصادى لليهود فى الحجاز لا يمكن فصله بأية حال من الأحوال عن الحديث عن النشاط الاقتصادى بشكل عام فى تلك الفترة ، فلقد مارس اليهود جميع الأعمال الاقتصادية التى كانت مألوفة فى عصرهم ، من زراعة وتجارة وصناعة ، وخير صفة يمكن أن نطلقها على مجتمع المدينة فى تلك الفترة ، بأنها مجتمع الموارد المتنوعة ، فلا نرى جانبًا يتطور على حساب جانب آخر ، كما هو الحال فى مكة ، حيث نرى أن النشاط الرئيسى الذى ميزها هو النشاط التجارى بحكم موقعها وطبيعتها الصحراوية .

أ – النشاط الزراعى :

إن المواطن التى سكن فيها اليهود هى بالأصل عبارة عن واحات تتوفر فيها الشروط اللازمة لممارسة العمل الزراعى ، الذى لم يكن الوحيد كما لاحظنا ، فيثرب أهم هذه المراكز اليهودية التى لم تتميز بنمط إنتاجى معين . وإن كانت الزراعة أهم أعمدة الحياة الاقتصادية فيها ، فأرضها بركانية تمتاز بخوصبة تربتها ، وتجرى فيها أودية كثيرة تفيض بمياه السيول، التى تتجمع فى الحرات الشرقية والجنوبية فى فترات مختلفة من السنة (٤٤). وكانت هذه الأودية تسيل فيها المياه ، والتى كانت غزارتها تتراوح حتى تصل إلى أكثر من ارتفاع الكعبين، ولكنها كانت تفيض أحيانًا حتى تصل إلى أنصاف النخل (٤٥). كما يبدو أنه استخدمت الآبار الكثيرة المنتشرة فى يثرب لرى هذه المزروعات ، وكان – قبل الإسلام – يناط بالعبيد مهمة القيام بهذه الأعمال الزراعية (٤٦).

وترد إشارات كثيرة لهذه الآبار ، ويتضح من هذه الإشارات أن ملكية هذه الآبار كانت أصلاً لليهود ، مثل بئر أريس نسبة إلى رجل يهودى يقال له أريس ، ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح (٤٧). ويظهر أن هذه البئر كانت من الضخامة بحيث إن عثمان رضى الله عنه حينما سقط خاتمه " علق عليها اثنا عشر ناضحًا فلم يقدر عليه " (٤٨).

وهناك أيضاً بئر خنافة ، وكانت لخنافة اليهودى(٤٩)، وبئر رومه ، وكان ليهودى أمر رسول الله ﷺ بشرائها فاشتراها عثمان (٥٠). وبئر ذروان ، وهى البئر التى ذكر أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله بها ، كما يشار أيضًا لبئر عاضد ، وبئر الأعواف (٥١).

ومن الطرق التى يبدو أنها استخدمت فى تنظيم رى المزروعات وسقاية النخيل ، فقد وردت إشارة إلى الطريقة التى كان الزراع بها يقسمون الماء بينهم " بأن يحبس الماء صاحب الأرض العالية حتى تسقى نخله فتصل إلى جنوره ، بارتفاع الكعبين ، ثم يرسلها إلى من هو أسفل منه فيسقى " (٥٢). هذا بخصوص الأودية أما إذا انخفض منسوب المياه فى هذه الأودية فكانوا يلجئون إلى استخدام الآبار ، أو يحملون المياه على الجمال النواضح لرى الجهات التى تبعد عن مجرى سيلان المياه (٥٣).

ومن أشهر المزروعات التى تشتهر بها المدينة ، والواحات الأخرى التى استوطنها اليهود فى الحجاز هى أشجار النخيل ، وكانوا يزرعونها فى مغارس كبيرة ، وقد يحوطونها فتكون حدائق وكانت أرض المدينة صالحة لزراعة النخيل ، حتى ليقال إن ودّية النخل تثمر بعد عام واحد من زراعتها (٥٤).

ويظهر أن النخيل كان عصب الحياة الاقتصادية لسكان الحجاز ويعتمد عليه السكان اعتمادًا أساسيًا فى طعامهم ، والتعامل بينهم ، وكان يتخذ وسيلة لدفع الأجور وتسديد الديون(٥٥). كما كانوا يأكلون جمارها " شحم النخل وهى أعلى الساق تحت الجريد " (٥٦)، بالإضافة لاستخدام جريدها لصناعة المكاتل والقفف من خواصها ، كما كانوا يستخدمونها فى سقف سطوح منازلهم وعرائشهم التى يستظلون بها من الحر " (٥٧). إضافة لاستخدام أشواكها وكرانيفها للوقود ، ويرضخون النوى بالمراضخ حتى يتكسر ، فيكون علفًا للإبل ، وكانت النخلة من الاحترام والمكانة فى تلك الفترة ، والفترة الإسلامية حيث شبه الرسول ﷺ المؤمن الصالح بالنخلة ، كل ما فيه خير (٥٨).

وكان هذا النخل ينتج أنواعًا متفاوتة الجودة من التمور ، وكان أجود هذه الأنواع من التمر نوع يسمى الصجانى ، وأبن طاب ، وعزق زيد ، والعجوة ، والصدفان وهو نوع من التمر أحمر وهو أوزن التمر كله ، والخبيب وهو من أجود أنواع التمر . وكان ليهود بنى النضير نوع فاخر من التمر يقال له اللوز ، " أسفر شديد الصفرة ترى النواة فيه من اللحمة " (٥٩).

ولم تكن زراعة النخيل حكرًا على المدينة وحدها من دون واحات الحجاز التى عاش بها اليهود سواء فدك أو خيبر أو تيماء التى كانت غنية بأشجار النخيل ، وتعتمد فى حياتها على هذه الغلة اعتمادًا كبيرًا جدًا ، حتى أن الرسول ﷺ اتخذ من قطع أشجار النخيل وسيلة للضغط والتهديد لإجبار هؤلاء اليهود على الاستسلام فى حروبه معهم ، كما حصل مع بنى النضير التى نزلت فيها الآية الكريمة ، " ما قطعتم من لينة ، أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين " (٦٠).

ويهود خيبر هم الذين قالوا عن أنفسهم : " نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها " (٦١)، و "إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علمًا" (٦٢)، كما كان يهود خيبر فى نظر من حولهم من القبائل العربية هم " أهل النخل " (٦٣). ولا عجب ! فيهود منطقة الحصون ، كانوا أحرص الناس على زرع النخيل وغرسه ، وكانوا أكثر خبرة بزراعته وسقيه(٦٤) فالنخلة عنهم " أحب إليهم من أبكار أولادهم " (٦٥).

كما يظهر أن فتح خيبر قد عادت على المسلمين بثروة هائلة من التمور(٦٦) حيث كانت "موصوفة بكثرة النخل والتمر " بحيث نرى عائشة رضى الله عنها تقول " الآن نشبع التمر " وقول ابن عمر " ما شبعنا حت فتحنا خيبر " (٦٧). وليس أدل على كثرة محصول التمر فى

الواحة الخيبرية من أن نخل وادى الكتيبة كان ينتج ثمانية آلاف وسق من التمر (٦٨)، وأما عن الإنتاج الكلى لمحصول التمر فى واحة خيبر فى عام ، فإن ابن شبه يذكر فى كتابه تاريخ المدينة المنورة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة ليخرص على يهود خيبر النخل ، فخرص عليهم أربعين ألف وسق من التمر (٦٩).

ويأتى الشعير بالمرتبة الثانية بعد النخيل ، وكان يعتمد عليه السكان اعتماداً رئيسيًا فى غذائهم وكانوا يزرعونه فى حقول خاصة ، بالإضافة لزراعته تحت النخيل ، ويظهر أن كمية الإنتاج من الشعير كانت وفيرة (٧٠)، فكان إنتاج وادى النطاة من الشعير وفيراً (٧١)، وما غنمه المسلمون من (دار بنى رقمه) يقطع بوفرة إنتاج هذا الوادى (٧٢)، " كما كان يزرع فى الكتيبة شعير ، فكان يحصد منها ثلاثة آلاف صاع " (٧٣). كما وجد فى حصن الصعب وهو من حصون النطاة شعيراً كثيراً(٧٤) أما عن الإنتاج الكلى لمحصول الشعير فى خيبر لوحدها فقد بلغ حوالى عشرة آلاف صاع(٧٥) وكانت له مخازن فى الحصون والأطام والدور ، وكان اليهود يتاجرون بدقيق الشعير ويبيعونه فى الأسواق (٧٦).

كذلك زرع اليهود القمح والكروم وكان إنتاجه وفيراً(٧٧) وبعض أنواع الفاكهة الأخرى من رمان وموز وليمون وبطيخ ، كما كانت تزرع بعض الخضروات والبقول . كالقرع واللوبيا والسلق والبصل والثوم والقثاء (٧٨). إذ حرص اليهود على أكلها لما فيها من صحة أبدانهم فيما يعتقدون (٧٩)، ويخبرنا أبو ثعلبة الخشنى أنه غزا مع رسول الله ﷺ خيبر ، " فوجدوا فى جنانها بصلاً وثوماً فأكلوا منه وهم جياع " ، وفى رواية أخرى " حتى تقرحت أشداقهم ثم نهى النبى ﷺ عن إتيان المسجد لمن أكلها (٨٠). ومن مصادر الثروة الزراعية أيضًا حب ألبان، ومنها كان يحمل إلى سائر البلدان (٨١).

لقد استوطن اليهود كما أسلفنا سابقًا أصلح الأراضى الزراعية فى يثرب ويظهر أن هؤلاء اليهود سيطروا على مركز الثروة الاقتصادية والثروة الزراعية فى المدينة ، وكانوا من أشهر أهلها غنى وثروة الذين يمتلكون الأراضى الزراعية الواسعة فهذا مخيريق اليهودى حين أسلم أوصى بأمواله للرسول ، وبلغت هذه الأموال سبع حوائط" (٨٢).

ولقد استخدم هؤلاء اليهود الأساليب التى تضمن لهم الربح ، وقاموا بإعطاء الأرض لمن يزرعها على نظام المزارعة ، وحسب جودة هذه الأرض ، وكانوا يزّارعون على الثلث أو على الربع ، وأحيانًا على النصف مما تنتجه الأرض (٨٣)، وطبقوا أيضًا نظام المؤاجرة ، حيث

كانت الأرض تؤجر إما مقابل مبلغ محدد من النقود ، أو جزء من المحصول ، أو تقسيم الحقل إلى قسمين ، قسم لصاحب الأرض وقسم للمزارع الذى يقوم بزراعتها (٨٤).

ويلاحظ أنه على الرغم من هذا النشاط الزراعى الواسع لليهود إلا أن حاصلات بعض المناطق مثل المدينة لم تكن لتكفى حاجة سكانها المتزايدة ، بحيث كانوا يستوردون ما يحتاجونه من بلاد الشام ، وتصل بهم الحاجة حداً لأن يشاركوا نبط الشام ، فى الحنطة والشعير والزبيب إلى أجل مسمى ، قد يبلغ سنة أو سنتين ليضمنوا الحصول على ما يحتاجونه منهم (٨٥).

ويظهر أن السيطرة الاقتصادية لليهود على المدينة كانت سبباً فى فقر سكانها الأصليين وحرمانهم ، وسوء أحوالهم الاقتصادية ، ويبدو أن عملية إجلاء اليهود عن المدينة فى عصر الرسول ﷺ كانت تعبيراً عن هذا الوضع السيئ ، ولتضايقهم من السيطرة الاقتصادية لليهود على مجتمع المدينة فى تلك الفترة ، وتركت هذه العملية أثراً إيجابياً على هؤلاء ، وأخذوا لهم رزقاً فى العمل والتجارة (٨٦).

ويرى ولفنسون أن اليهود أسهموا فى تطوير الزراعة وتنوعها " بإدخالهم أنواعاً جديدة من الأشجار وطرقاً جديدة للحراثة والزراعة بالآلات " (٨٧)، ولكن هذا بتقديرى يعود للبيئة الحجازية نفسها التى وجد اليهود أنفسهم بها ، هذه البيئة التى أسهمت فى إنجاح أية عملية تطوير للعمل الزراعى التى فرضت عليهم هذا النمط الزراعى فى يثرب . وفرضت بالمقابل العمل فى التجارة على مكة . وهذا ينفى قول ولفنسون بأن اليهود كانوا أساتذة الحجاز فى ممارسة العمل الزراعى ، لأنه ينكر بهذا دور القبائل اليمانية ، ذات التراث العريق والخبرة الزراعية الواسعة التى جلبتها معها من اليمن موطنها الأصلى ، وطبقتها فى المدينة ، ولكن يبدو أن الخبرة الوحيدة التى أدخلها يهود الحجاز إليه هى عملية بناء الحصون والآطام . وهى لم تكن معروفة لدى عرب الحجاز ويظهر أن اليهود قد نقلوها معهم من بلاد الشام . وبلغ عددها فى يثرب لوحدها تسعة وخمسين آطماً "(٨٨) .

والآطام كلمة عبرية تعنى حوائط بدون نوافذ من الخارج ، وبالعربية "البناء المرتفع "(٨٩). ولهذه الآطام استخدمات متعددة وتقدم خدمة كبيرة الأهمية لأصحابها فيحتمى فيها السكان عند هجوم العدو ، وتأوى إليها النساء والأطفال عندما يخرج الرجال للحرب كما كانت تستخدم مخازن للغلال والأسلحة ، وتنزل بجوارها القوافل ، وتقام الأسواق على أبواب هذه

الآطام ، ويوجد فى كل أطم بئر يستسقى منه أهله ، إذا هاجمهم العدو . كما كانت هذه الآطام تشتمل على المعابد ودور المدارس ، ليجتمع بها الزعماء للبحث والمشاورة فى كل أمورهم (٩٠). ولقد ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى : { لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ }(٩١). لقد كانت لكل قبيلة يهودية آطام اشتهرت بها فمن آطام بنى قينقاع آطم قرع(٩٢)، ومن أشهر آطام بنى النضير حصن كعب بن الأشرف ، وهو الذى أمر الرسول ﷺ بقتله لأنه كان يهجو الرسول ويحرض كفار قريش على الرسول(٩٣) .

وحصن ناضحة ، وحصن عمر بن جحاش ، وحصن البديلة ، وحصن براج ومنور (٩٤)، ومن حصون بنو قريضة ، حصن الزبير بن باطا القرضى ، وحصن كعب بن الأشرف ، ويسمى حصن (بلجان) ، وكذلك حصن الملحة ، والمعرض ، وهو الحصن الذى يلجئون إليه عند الشدة (٩٥). ومن أشهر حصون القبائل اليهودية الأخرى أطم صوار ، والريان ، والعائدان لبنى ثعبه (٩٦). وهناك حصن الشفجان شمالى شرق المدينة قرب وادى قناة (٩٧). ومن أشهر حصون خيبر : الشق والنطاة وساحيز والكتيبة والسلالم والوطيح (٩٨). وحصن ناعم والقموص، وحصن أبى الحقيق (٩٩)، وحصن الأبلق ، وحصن السموءل بن عاديا المشرف على تيماء (١٠٠).

ب – النشاط الصناعى :

كان النشاط الصناعى فى المدينة المنورة متقدمًا عنه فى كافة المدن الحجازية الأخرى وكانت هذه الصناعات ضرورية للأعمال الزراعية ، ثم أنه كان بها صناع مختصون احترفوا أنواعًا من الصناعات ويرعوا بها ، وخصوصًا تلك الصناعات التى يحتاجها الناس فى استخداماتهم اليومية (١٠١).

ومن أشهر هذه المصنوعات تلك التى تعتمد على الإنتاج الزراعى وأهمها صناعة الخمر الذى كانوا يصنعونه من التمر ، والتى كانوا يسمونها الفضيخ ، وكانوا يشربونها ويتاجرون بها ولديهم منها كميات كبيرة يختزنونها فى جرار ، وكانت هذه الصناعة عامة يمارسها العرب واليهود على حد سواء (١٠٢).

كما اشتهرت بصناعة الخوص من سعف النخل ، بالإضافة لصناعة المكاتل والمقاطف والقفف . وأعمال التجارة اللازمة للبيوت من أبواب ونوافذ وأثاث كان أغنياء اليهود يمتلكون الكثير من الأثاث فى بيوتهم ، وكان استعمال الكراسى أمرًا شائعًا حيث يصنعونها من الخشب وأرجلها من الحديد (١٠٣).

ولقد ساعد على تقدم الصناعات الخشبية فى يثرب وفرة أشجار الخشب والطرفاء، والأثل فى منطقة الغابة فى الناحية الشمالية الغربية من المدينة (١٠٤).

وكانت الحدادة إحدى الصناعات القائمة فى المدينة والمرتبطة فى الأعمال الزراعية ، حيث ازدهرت بعض المصنوعات التى تحتاجها طبيعة الأعمال الزراعية التى يمارسها السكان فى نشاطهم الزراعى ، حيث تحتاج الزراعة إلى أدوات مختلفة مثل الفئوس ، والمحاريث ، والمساح والمناجل للحصاد ، وغيرها من الآلات التى كان يمارسها العرب واليهود على حد سواء . وإن كانت الموالى والعبيد أكثر احترافًا لها (١٠٥). وهذا يخالف ما جاء به أحد الباحثين المحدثين فى أن العرب كانوا يأنفون العمل بها ويعتبرونها من المهن الحقيرة (١٠٦). فنرى أن ممارسة هذه المهنة لم تنحصر فقط بالجماعات اليهودية ، ولكنها كانت ممارسة عامة للجميع بدون استثناء .

واشتهر اليهود وخصوصاً يهود بنى قينقاع بالصياغة حيث احترفوها ولم يحترفها أحد من العرب معهم (١٠٧). ومن هذه المصنوعات التى كانوا يصوغونها الأساور والدمالج والخلاخيل والأقرطة والخواتم ، والفتخ والعقود من الذهب ، أو من الجوهر والزمرد ، أو من الجزع الضفاوى ، وهو خرز ثمين به ألوان بيضاء وسوداء ، وكانت هذه الحلى تباع فى سوق خاص بهم(١٠٨).

وجاء فى الأغانى أن النابغة الذبيانى أقبل إلى المدينة يريد سوق بنى قينقاع فلما أشرف على السوق سمع الضجة وكانت سوقًا عظيمة فحاطت به ناقته (١٠٩). وحين فتح رسول الله ﷺ خيبر ، وكان قد اشترط على أهلها أن لا يخفوا عليه شيئًا ويظهر من هذا أن آل أبى الحقيق وهم المهيمنون اقتصاديًا من اليهود فى تلك الفترة كانوا يمتلكون ثروة من هذه المصوغات الذهبية التى لها شهرة واسعة جدًا لدرجة أن بعض أهل مكة كانوا إذا عرسوا يأتوا إليهم ليستعيروا ذلك الحلى لمدة شهر ، وكان ذلك الحلى يكون عند الأكابر ، وهم فى الأغلب من آل أبى الحقيق (١١٠). وكان هذا الكنز عبارة عن مسك جمل ، جله أساور وذهب ودمالج ذهب ، وخلاخل ذهب ، وأقرطة ذهب ونظم من جوهر وزمرد وخواتم ذهب ، وفتح بجزع ظفار مجزع بالذهب (١١١).

وتفوق اليهود أيضًا بصناعة الأسلحة كالدروع التى كانوا من البراعة فيها ، حتى أنه ليقال: إنهم ورثوها عن النبى داود عليه السلام (١١٢)، وكانت السيوف والنبال تصنع بالمدينة ونبال يثرب مشهورة ، وكان من هؤلاء الصناع من يتخصص فى حداء الأسلحة ، وصقل

السيوف(١١٣). بالإضافة لمصنوعاتهم من أدوات الصيد المختلفة كالفخاخ والشباك ... وأشراك الحديد ، وغير ذلك (١١٤).

ويبدو أن هؤلاء اليهود كانوا يمتلكون ثروة واسعة من هذه الأسلحة ، كانوا يخزنونها فى حصونهم وآطامهم فحين فتح الرسول ﷺ خيبر وجد فيها ألف وخمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع ، وألف رمح ، وألف وخمسمائة ترس وحجفة (١١٥).

وكذلك وجد المسلمون حينما فتحوا حصون بنو قينقاع كثير من الدروع والسيوف والأقواس ووجدوا سلاحًا كثيرًا وآلة للصياغة (١١٦). وغنموا كذلك الكثير من الأسلحة حينما فتحوا حصون بنو قريضة (١١٧).

وإلى جانب هذه الصناعات الهامة كانت تقوم صناعة النسيج والتى تمارسه النساء (١١٨). بالإضافة لذلك وجدت حرف أخرى ، مثل الخياطة والدباغة وأعمال النحت وضرب الطوب(١١٩)، بالإضافة إلى صنع آنية المنازل ، وأدواتها من نحاس وفخار للأكل والشرب ، وما إلى ذلك من مصنوعات (١٢٠).

ومن هذا نلاحظ أن اليهود فى شمال الحجاز كان لهم باع طويل فى النشاط الصناعى حيث مارسوا كافة الحرف المتعلقة بحياتهم وأعمالهم الزراعية ، ومع أن اليهود برعوا فى جوانب معينة فى هذه الصناعة ، بل حتى احتكروها كصناعة الصياغة ، إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن ممارسة العمل الصناعى بجميع جوانبه لم تكن حكرًا عليهم لوحدهم ، بل شاركهم فيها سكان المدينة الآخرون من العرب .

جـ – النشاط التجارى :

إن الحجاز مكان يشقه شريان التجارة الرئيسى ، الذى تتفرغ منه شرايين تتجه باتجاه الشرق والشمال الشرقى ، كما يسير بمحاذاته شريان آخر مهم ، هو طريق البحر الأحمر المؤدى إلى الهند ، لهذا فإن الحجاز كان جسرًا يربط بلاد الشام وحوض البحر الأبيض المتوسط مع اليمن والحبشة والصومال بالسواحل المطلة على المحيط الهندى ، وكان لهذا الطريق أعظم الأثر فى قيام مدن تجارية بالحجاز ، كمحطات تجارية واقعة على هذا الطريق البحرى (١٢١).

ومما زاد من قيمة هذا الطريق وازدياد مكانته التجارية هو النزاع الفارسى البيزنطى ، ذلك النزاع الذى بلغ أشده فى القرن السادس الميلادى بسيطرة الأحباش واحتلالهم لليمن وما

تلاه بعد ذلك من احتلال فارسى لها . وقيام الحروب المتصلة بين هاتين الإمبراطوريتين حيث أدى هذا لإغلاق طريق التجارة الشرقى ، المار بين العراق إلى بلاد الشام ، بالإضافة لخلو الطريق البحرى عبر البحر الأحمر من السفن الرومية ، ولم تستطع البحرية الحبشية أن تسد هذا الفراغ فيه ، فأصبح ميدانًا لسفن القراصنة (١٢٢)، وساعد هذا على أن يكون الطريق البرى المار عبر الحجاز هو الطريق المفتوح أمام التجارة .

لقد نشطت مكة ويثرب كمحطات تجارية على هذا الطريق التجارى الذى يربط اليمن بالشام، ومع أن الإشارات متوفرة وبكثرة عن النشاط المكى التجارى ، إلا أن هذا لا يمنعنا من الافتراض بأن المدينة شاركت مكة مثل هذا الدور ، وإن كانت لم تختص بالتجارة لوحدها مثلما هو الحال فى مكة بل لها موارد اقتصادية أخرى غير التجارة .

لم يقتصر دور يثرب ومكة التجارى على كونهما محطات تجارية بل شاركتا فى العمل التجارى نفسه فكانتا مدينتين تجاريتين لهما نشاطهما الخاص بهما .

إن طبيعة كون يثرب مدينة محاطة بالقرى والأعراب لابد أن تكون فيها حركة تجارية وأن يكون كثير من أهلها قد تفرغوا للأعمال التجارية (١٢٣)، ومما يؤكد هذا الدور الكثير من الإشارات القرآنية المتعلقة بهذا النشاط التجارى (١٢٤).

وكانت حركة التجارة الداخلية نشطة بين سكان يثرب والقبائل المحيطة بها مما يدفعنا للقول ، بأنه قامت حركة واسعة للتبادل التجارى بين المدينة التى اشتهرت بمنتجاتها الزراعية وصناعاتها وبين هذه القبائل التى كانت تشترى من يثرب ما تحتاجه وتتبادل معها بما تنتجه من منتجات حيوانية من وبر وحليب وسمن .

وكان دور اليهود فى هذا النشاط التجارى الداخلى كبيراً ، فاليهود مارسوا كل أنواع المعاملات التجارية المعروفة فى زمانهم ، ووسعوا نفوذهم الاقتصادى بين القبائل العربية ، ووجهوا كل نشاطهم التجارى لتضخيم ثرواتهم التى اعتمدوا فيها على مختلف المعاملات والقروض الربوية ، كما امتازوا أيضاً ببعض الصناعات المربحة كالصياغة والنسيج ، وكانوا قبل الإسلام من أكثر سكان يثرب نشاطًا فى تجارة البر والشعير والتمر ، واحتكار صناعة الخمر وتجارته ، حيث وفرت تلك التجارة لهم أرباحًا طائلة (١٢٥).

ونشطت فى يثرب بعض الأسواق التجارية الكبيرة ، التى تعتبر مؤشراً على النشاط التجارى الواسع الذى شهدته قبل الإسلام من أشهرها هو سوق بنو قينقاع ، وهو السوق

الذى امتدت شهرته حتى بداية عصر النبوة (١٢٦). ومما يشير لنشاط هؤلاء اليهود التجارى وعدائهم للحركة الإسلامية الجديدة لمحاولة الرسول ﷺ اتخاذ سوق آخر فى موضع بقيع الزبير(١٢٧). وربما أراد الرسول ﷺ بذلك أن يضرب احتكار اليهود لهذه التجارة ، وتحويل مركز الثقل الاقتصادى ليد المسلمين ، وربما أراد بذلك التخلص من العمليات الربوية الواسعة التى كانت تجرى فى ذلك السوق مما يتنافى مع القيم الإسلامية الجديدة التى أراد الرسول ﷺ ترسيخها ، ومما يشعر بالدور الكبير الذى كان يؤديه هذا السوق فى يثرب قبل الإسلام ، وتحول المسلمين إلى سوق جديد حيث بدأ هؤلاء اليهود يشعرون بالخطر يتهدد مصالحهم بقيام الرسول ﷺ بنقل سوق يثرب إلى موضع جديد قائلاً لهم : " هذا سوقكم فلا تضيق ولا يؤخذ فيه خراج " (١٢٨)حيث قام كعب بن الأشرف أحد الزعماء اليهود بإظهار عداوته لهذه الخطوة الجديدة حيث دخل الخيام وقطع أطنابها .

واستمر سوق بنى قينقاع بأداء دوره حتى بعد معركة بدر عام ٢ هـ / ٦٢٣م . فعندما انتصر المسلمون على مشركى مكة ومجاهرة يهود بنى قينقاع بالعداء للرسول ﷺ " ذهب إليهم فى سوقهم ونصحهم بعدم إثارة الفتن " (١٢٩).

ويلاحظ أن هذا السوق كان يؤدى أدوارًا أخرى ، فهو مكان للاجتماع والتباحث بالإضافة لدوره الاقتصادى المتميز ، فبنو قينقاع سكنوا الأماكن الأقل أهمية من الناحية الزراعية ، ولكنهم اشتهروا كقوم تجارة وصاغة ، مما أدى إلى تعويضهم عن هذا الحرمان ، واتجاههم نحو العمل الأكثر ربحًا وهى العمليات التجارية وما يتعلق بها من حرف ذات مردود مادى عالٍ كالصياغة ، وعمليات الصيرفة ذات الفوائد الربوية العالية ، وتدل الإشارات المتوفرة على تردد أهل يثرب من المسلمين على هذا السوق لشراء المصوغات الذهبية التى يحتاجونها فهذا على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أراد الزواج من فاطمة الزهراء رضى الله عنها ذهب إلى سوق بنى قينقاع لشراء الحلى الخاصة بالزواج (١٣٠). وكانت حادثة الاعتداء على المرأة المسلمة التى ارتادت هذا السوق لشراء الحلى سببًا مباشرًا لإخراج هؤلاء اليهود من المدينة(١٣١) كما يبدو أن المهاجرين الأوائل من المسلمين استطاعوا استغلال خبراتهم التجارية السابقة واستطاعوا الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة فى هذا السوق ، حيث نزلوا للعمل فى سوق بنى قينقاع للتخفيف من الأعباء الملقاة على كواهل الأنصار . ولقد استطاع عبد الرحمن بن عوف أن يجمع أموالاً بسرعة من مزاولته التجارة فى هذا السوق ، حيث أدى هذا لغناه فتزوج من الأنصار وأسس له بيتًا مستقلاً (١٣٢). ولقد استطاع هؤلاء المهاجرون الجدد ذوو الخبرة

التجارية السابقة فى مجتمع مكة من التأثير على الحركة التجارية فى يثرب لصالحهم ، ويبدو أن مركز الثقل الاقتصادى قد انتقل إلى أيدى هؤلاء ، مما أدى لأن يجاهر اليهود بعداوتهم علنًا للمسلمين بعد، معركة بدر .

وكانت هناك أسواق أخرى فى يثرب وإن كنا غير جازمين بأنها يهودية ، ولكن لا يستبعد أن يكون لهؤلاء نشاطًا تجاريًا مميزًا فى هذا الأسواق ، فهناك سوق من ناحية يثرب " وهو ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف " (١٣٣). وسوق فى منطقة العصبة عند قباء وسوق مزاحم قرب مساكن بنى الحبلى قوم عبد الله بن أبى سلول (١٣٤). وسوق قرب البقيع عرفت ببقيع الخيل ، كان بنو سليم يجلبون إليها الخيل والغنم والسمن ، وكان أكثر ما يباع بهذا الأسواق الحيوانات (١٣٥).

ويلاحظ أن هذه الأسواق كانت تقام على أطراف المناطق السكنية والمنطقة التجارية ، ولعل الأمر يعود لأسباب دفاعية واجتماعية (١٣٦).

وكانت السلع التى تباع فى هذه الأسواق متنوعة ، سواء ما تنتجه المدينة نفسها من تمور وشعير وطعام وخمر ، والحطب الذى يجلبه الحطابون من حول المدينة بالإضافة لما يفد إليها من منتجات البادية من صوف وشعير ووبر وسمن ، ومصنوعات المدينة نفسها من مصوغات وحلى ذهبية أو آلات زراعية كمساح ومكائل وكرازين ، أو ما يجلب إليها من الخارج من نبيذ وزيت وحنطة ومنسوجات قطنية وحريرية ، ونمارق ملونة يشتريها أهل النُعمة واليسار ؛ كما كان هناك عطارون يتاجرون فى أنواع العطارة والمسك والروائح العطرية . وكان لكل طائفة من الباعة موضع معلوم فى السوق (١٣٧).

إن المدينة كانت تقع على نفس الطريق التجارى الذى تقع عليه مكة ، وكانت تؤدى نفس الدور الذى تؤديه مكة ، فى المعاملات التجارية فمن هذا يصح الافتراض بأن الإشارات الكثيرة المتوفرة عن السلع المكية يمكن أن تنطبق على يثرب أيضًا .

فلقد كانت ترد إلى هذه المدن حاصلات الهند عبر موانئ الجنوب ... كالذهب والقصدير والفضة والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل كالبهار والفلفل ونحوها ، والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوان والزعفران والآنية الفضية والحديد والذهب

والرقيق (١٣٨). ومن حاصلات اليمن البخور واللّبان والمرّ واللادن والعطور والحجارة الكريمة ، كالثيب والعقيقة والجلود ذات الرائحة الطيبة (١٣٩)، ومن حاصلات جزر سومطرة "جزيرة بإندونيسيا" العود والند ومن البحرين اللؤلؤ ومن الشمال القمح والرقيق والزيت والخمر (١٤٠).

كما تحمل من حاصلات الجزيرة العربية نفسها كالعطور من اليمن والزبيب من الطائف ومعادن الحجاز ولم تكن هناك أية قيود مفروضة على نوعية التعامل الاقتصادى داخل هذه الأسواق ، وكانت جميع العمليات التجارية تمارس بدون تحديد ، فيهود بنى قينقاع على ما يبدو عملوا بالصيرفة حيث كانوا يبيعون الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، ويقومون باستبدال النقود ويظهر أنهم كانوا يستغلون بساطة الناس فلا يظهرون لهم مدى جودة هذه العملة ومدى فرق الوزن بين هذه الدنانير والدراهم (١٤١).

كما ازدهرت حرفة السمسرة ، فهناك من كان يتولى البيع نيابة عن أصحاب البضائع ، وخاصة أهل البادية وكثيراً ما كانوا يستغلون جهل هؤلاء الأعراب فيبخسونهم أو يرفعون السعر أو ينقصونه مضاربة(١٤٢) .

كما يلاحظ أن ظاهرة الاحتكار كانت معروفة فى المدينة ، فكان تجار يثرب يتلقون الركبان خارج المدينة ويشترون منهم ما يحملونه من طعام قبل أن يصلوا به إلى السوق حتى لا يعرف الناس ثمنه الحقيقى ، ثم يجمعونه ليحتكروا به السوق ، وأحياناً يبيعونه فى مكانه قبل أن يصلوا إلي السوق إذا تحقق لهم الربح الذى يطلبونه (١٤٣).

ويتضح أن اليهود كانوا يمارسون مختلف العمليات التجارية المربحة ، فكانت ظاهرة الغش والمخادعة ظاهرة موجودة فى الأسواق ، فكانوا يخلطون الحنطة بالشعير ليكثر كيلها ، ويخلطون التمر الردىء بالجيد ويتركون الإبل والغنم والبقر بحليبها أياماً حتى تبدو كثيرة اللبن ثم يبيعونها (١٤٤). وعرفوا أيضًا البيع بالنسيئة فكان الناس يستلفون فى التمر العام والعامين، ويلاحظ بأن ارلوسل ﷺ أقر هذه المعاملات التجارية ، ولكنه وضع لها قواعد اقتصادية سليمة فقال : " من سلف فى تمر فيسلف فى كيل معلوم ، ووزن معلوم " (١٤٥).

وكانت دائرة هذا النشاط تتسع لتشمل تجار بلاد الشام ، وفى هذا إشعار لدور المدينة التجارى فى هذه الفترة " فكنا نسلّفُ بنبط أهل الشام فى الحنطة والشعير والزيت فى كيل معلوم إلى أجل معلوم " (١٤٦).

وعرفوا الرهن أيضًا حتى أن الرسول ﷺ ، نفسه رهن درعه عند يهودى مقابل مُدَّين من شعير وحين أرسل الرسول ﷺ سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف الذى كان يؤذى الرسول ﷺ ، اشترط عليهم أن يرهنوا شيئًا مقابل ما يريدون من شعير (١٤٧).

ولقد وصل الحسّ التجارى بهؤلاء لدرجة أنهم كانوا يجمعوا شحوم الحيوانات الميتة ويبيعونه لأهميته فى طلاء السفن ودهن الجلود والإنارة (١٤٨).

وكانت الربا مظهراً من مظاهر الحركة الاقتصادية والتجارية ، ووسيلة من وسائل التعامل فى المجتمع العربى بعامة ، وفى المدن خاصة ، وبرع به اليهود لدرجة كبيرة ، سواء أكان مع أهل المدينة أم مع القادمين إليها . وكان هذا الربا يصل حداً يتجاوز به على القيمة الفعلية للدّين (١٤٩). وترد فى القرآن الكريم إشارات كثيرة تؤكد على اشتغال هؤلاء اليهود بالربا ، وعلى أكلهم أموال الناس بالباطل بقوله تعالى فى سورة النساء (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (١٥٠).

وكانت هذه المعاملات الربوية من الشدة والرسوخ لدرجة أن القرآن الكريم تدرج فى تحريمه ، مما يعكس مقدار تمكنه من المعاملات الاقتصادية اليومية ، ففى البداية نهى القرآن عن الربا الفاحش بقوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ](١٥١). ثم جاء تحريمه القاطع بسورة البقرة (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) (١٥٢).

أما عن نشاط اليهود الخارجى فى التجارة فلدينا إشارات قليلة ، لا تعطى صورة تفصيلية عن مجمل جوانب ذلك النشاط . وتبقى مجرد افتراضات أكثر منها حقائق ثابتة . ويظهر أن اليهود كانوا يشتركون فى تجارة القوافل المكية المارة فى أراضيهم ، ويبدو أن مشاركتهم كانت فى هذه القوافل فعالة مع أن مصادرنا لا تشير من قريب ولابعيد لأية معاهدة أو اتفاقية عقدت بين التجار المكيين والمدنيين وترد إشارة لأحد هؤلاء التجار اليهود وهو أبو رافع الخيبرى، الذى وصلت شهرته التجارية مرتبة عظيمة وكان يرسل بضاعته بواسطة القوافل إلى الشام ويستورد منها الأقمشة المختلفة (١٥٣).

ويحاول ولفنسون أن يحصر تجارة البلح والشعير والقمح بهم فى شمال الحجاز (١٥٤)، ولكن هذا لا يمنع أن يكون هؤلاء اليهود تجاراً نشيطين مع المناطق الشمالية ، وتخصصوا فى

بعض السلع التى درت عليهم أرباحًا طائلة كتجارة النبيذ مع بلاد الشام ، والتى يظهر أنهم برعوا بها لدرجة كبيرة (١٥٥).

ولقد شكل بعض هؤلاء اليهودَ منافسًا خطيراً للتجارة المكية ، حيث ترد إشارات عن إقامة بعض هؤلاء التجار فى مكة مما يجعلنا نعتقد بأنهم ارتبطوا معهم بتحالفات تجارية لحماية تجارتهم وتوفير عنصر الأمن لهم ، ليتاجروا بكل حرية فكان فى جوار عبد المطلب يهودى يقال له أذينة ، وكان اليهودى يتسوق فى أسواق تهامة بماله فغاض ذلك حرباً فألب عليه فتياناً من قريش ، وقال هذا العلج يقطع إليكم ويخوض بلادكم كثيراً من غير جوار ولا خيل " (١٥٦).

إن عدم تجانس التركيبة السكانية فى يثرب بين اليهود وبين العرب أوجدت التنافس بين أمكنتها المختلفة ، وغياب الوحدة السياسية أدى لحرمان يثرب فى أن يكون لها دور مميز فى النشاط التجارى قبل الإسلام ، وربما لو تهيأ لها هذا لكانت منافساً خطيراً للتجارة المكية ، وخصوصاً أن مواردها الاقتصادية متنوعة بدرجة تختلف كلياً عن مكة . ونلاحظ أنه فيما بعد حينما توفرت لها هذه الوحدة وهذا التجانس أصبحت تشكل منافساً خطيراً للتجارة المكية ، واستطاعت أن تحتل مكانها ، وتحولت إلى مركز الثقل الاقتصادى ، واستطاعت أن تهزم مكة اقتصادياً قبل أن تهزمها سياسياً ، وبعد أن استقر المسلمون فى المدينة أخذوا بمزاولة التجارة الخارجية وأخذ تجار من المهاجرين القرشيين أمثال طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعيد بن زيد يرحلون إلى الشام ويجلبون منها التجارة (١٥٧).

وتعززت هذه المنافسة حينما بدأت سرايا الرسول ﷺ تعترض القوافل القرشية ، مما شكل تهديداً كبيراً لقريش ، وتجارتها ، وكانت بداية لانهيارها كقوة تجارية .

العلاقات الاقتصادية اليهودية :

أ – علاقاتهم الداخلية فى يثرب :

يلاحظ أن اليهود كانوا موجودين فى يثرب قبل مجىء الأوس والخزرج إليها ، والتى لا مجال للخوض فى أسبابها وتفاصيلها ، ولكن على ما يبدو أن هذه الهجرات التى قامت بها هذه القبائل الأزدية كانت أسبابها متعددة ، منها اضطراب أحوال اليمن نتيجة للنزاع السياسى بين القبائل ، وتتابع الغزوات الحبشية عليها منذ القرن الثالث الميلادى ، والخراب الاقتصادى نتيجة لانهيار سد مأرب ، وحدوث سيل العرم (١٥٨). وأخذت هذه القبائل بالهجرة

باتجاه الشمال ، ومنها قبائل الأوس والخزرج الذين هاجروا للمدينة فى فترة كانت أوج السيطرة فيها لصالح اليهود سياسيًا واقتصاديًا ، وبعد استقرار الأوس والخزرج بدءوا بمحاولة السيطرة على المدينة والقضاء على هذا النفوذ اليهودى الواسع حيث يفهم هذا من رواية صاحب الأغانى : "فلما توجه الأوس والخزرج ووردوها نزلوا فى حرار وتفرقوا ، وكان منهم من لجأ إلى عفار فى أرض لا ساكن فيها ، فنزلوا به . ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج فى منازلهم التى نزلوها بالمدينة فى جهد وضيق المعاش ، ليسوا بأصحاب نخل وزرع وليس للرجل منهم إلا الأعزاف اليسيرة والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبث الأوس بذلك حينًا" (١٥٩).

ويؤكد هذا السمهودى أيضًا حيث يقول " وقد وجد الأوس والخزرج الأموال والآطام بأيدى اليهود ، والعدد والقوة معهم ، فمكثوا ما شاء الله ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم جوارًا وحلفًا يأمن به بعضهم من بعض ، ويمنعون به من سواهم فتحالفوا وتعاملوا . ولم يزالوا كذلك زمنًا طويلاً ، وأثرت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد ، وخافت قريضة والنضير أن يغلبوهم على دورهم فتنكروا لهم حتى قطعوا الحلف (١٦٠). وتسلطوا على المدينة ، فاستعان الأوس والخزرج بأقربائهم على اليهود ، فغلبوهم ، وصارت الغلبة للعرب على المدينة منذ ذلك العهد(١٦١) .

إن هاتين الروايتين تظهران بأن هذه السيطرة الاقتصادية لليهود على يثرب لم تصمد طويلاً أمام عبقرية الأوس والخزرج الاقتصادية التى تنتمى إلى العقلية اليمانية التى لها باع طويل فى الحضارة ، خصوصًا فى المجال الزراعى ، بحيث انتقل مركز الثقل الاقتصادى تدريجًا لأيدى هؤلاء ، والذين أصبحوا منافسًا خطيرًا لنفوذ اليهود ، مما دفع هؤلاء اليهود لإظهار العداوة لهؤلاء القادمين الجدد .

وتحاول هذه الروايات أن تفسر هذا التغير فى شكل العلاقة تفسيرًا ساذجًا لا يخلو من الطرافة ، ولكنه فى الوقت نفسه يظهر مدى تأذى القبائل العربية من هذه السيطرة اليهودية على يثرب . فتعزو هذه الروايات السبب لوجود ملك يهودى مستبد وظالم ، وكانت لا تهدى عروس من الحيين حتى تدخل على " الغبطون " ملك اليهود فيكون هو الذى يفتضها وتحدثنا الروايات أن أخت مالك بن العجلان – أحد رجال العرب – تزوجت رجلاً من قومها ، وفيما مالك فى النادى إذ خرجت أخته فضلاء فنظر إليها أهل المجلس فشق على مالك ، فدخل

وعنفها فقالت ما يصنع بى غداً أعظم ، أهدى إلى غير زوجى ، فلما أمسى اشتمل على السيف ودخل متنكراً مع النساء وقتل الغبطون وانصرف لدار قومه ... " (١٦٢).

إن هذه الرواية وعلى الرغم من الضعف البارز فى ثناياها كما يرى ولفنسون فى أنها لا تتناسب مع الطبيعة العربية التى تأبى الانحدار لهذا الدّرك من الوحشية والهمجية ، مع ما هو معروف عنهم من عزة ومنعة ، والتضحية بكل شىء فى سبيل العرض ،وحفظ الشرف ، كما أن يهود الحجاز هم أصحاب دين سماوى ينهى عن الفحشاء والمنكر ، ولا يمكن أن تسمح لهم أخلاقهم بهذه الأعمال اللاأخلاقية (١٦٣).

إن هذا الموقف من مالك بن العجلان يظهر مدى تذمر العرب من السيطرة الاقتصادية لليهود ، وحدة التنافس الاقتصادى ، خصوصاً التنافس التجارى ، حيث دفع هذا أهل يثرب للاستعانة بالقوى الخارجية ، حيث استعان مالك بأبى جبلة الغسانى وهو يومئذ ملك غسان فسأله عن قومه وعن منزلتهم فأخبره بحالهم وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبلة : " والله ما نزل قوم منا بلداً إلا غلبوا أهله عليه فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضى إلى قومه ، وقال له أعلمهم أنى سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبى جبلة ... فأمر ببناء حائر واسع ، فبنى ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبلة الملك قد أحب أن تأتوه فلم يبقى من وجوه القوم إلا أتاه، وجعل الرجل يأتى ومعه خاصته وحشمة ، رجاء أن يحيوهم ، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذى بنى ، ثم يقتلوا كل من يدخل عليهم من اليهود ، ثم أمر حجابه أن يأذنوا لهم فى الحائر ويدخلوهم رجلاً رجلاً ، فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك، ويقتلهم الجند الذين فى الحائر حتى أتوا على آخرهم " (١٦٤).

إن هذه الرواية يتضح من فحواها التناقض الواضح ... فاليهود لا يعقل أن يكونوا من السذاجة بحيث يبادوا بهذا الشكل . كما أن أبا جبلة على رأى ولفنسون لم يكن ملكًا ولا يوجد من ملوك غسان ملكًا بهذا الاسم من سلالة آل جفنه .

ولكنه يرجح أنه من المحتمل أن يكون قائداً جاء إلى يثرب بإيعاز من أحد ملوك آل جفنة . وربما أرادت الأوس أن تعقد حلفًا مع بعض القبائل اليمانية ، والتى أصولها واحدة ، بسبب أن الحلف المعقود بينهم وبين هؤلاء اليهود ، لا يرضى أمالهم وطموحاتهم ، والتى تتجاوز قناعاتهم السابقة بأن يستمروا عمالاً ومساعدين لليهود فى دوائرهم الزراعية والحركة التجارية(١٦٥).

وتظهر هذه الروايات مقدار التنافس التجارى والاقتصادى بين سكان يثرب والعرب واليهود كما تظهر بوضوح مقدار النفوذ التجارى الواسع الذى وصل إليه اليهود خلال هذه الفترة .

إن سيطرة الأحباش على اليمن ، والمضيبة التى لحقت باليهود هناك ، والتحالف اليمانى بين الأوس والخزرج وبين أبناء عمومتهم من آل جفنة فى الشمال فى بلاد الشام ، هى العوامل الأساسية التى أدت إلى تراجع السيادة اليهودية فى شمال الحجاز ، وبدأت كفة السيطرة السياسية تنحاز لصالح القبائل اليمانية .

إن هذا الصراع لم تكن الدولة البيزنطية بعيدة عنه ، وهى التى شجعت الغزو الحبشى الحليف لها . حيث تبدوا هذه الحادثة فى جوهرها صراعاً على النفوذ الاقتصادى ، ومحاولة للهيمنة على طرق التجارة التى تعتبر نجران أحد فروعها المهمة والتى تتوزع منها المواصلات إلى الخليج العربى والعراق ، عبر وادى الدواسر ، واليمامة أو إلى الشام عبر الخط البرى التقليدى الذى كان يمر فى المدينة .

ويرى إبراهيم بيضون بخصوص العلاقة بين يهود الحجاز واليمن فى هذه الفترة أن الفصل بين الإقليمين فى هذه المرحلة لا يتفق مع طبيعة التطورات التى شهدتها المنطقة الجنوبية منذ بدايات القرن السادس الميلادى ، ولعل أبرز مؤشرات هذه العلاقة هو اضطهاد حملة الحبشة لليهود والمتهودين فى اليمن ، دفعت بقسم كبير منهم على الأرجح للهجرة نحو الحجاز ، حيث نزلوا فى أحياء خاصة فى يثرب ، وبعض المراكز الأخرى ، أو فى نطاق جاليات تجارية تزلت فى المدن المزدهرة كالطائف أو التجمعات الزراعية الخصبة فى هذا الإقليم(١٦٦).

إن هذا التحول فى شكل العلاقة كان فى مصلحة عرب يثرب ، وأتاح لهم المجال للظهور فى قوة سياسية منافسة لليهودفى المدينة ، وأسهم هذا فى زيادة عزلة اليهود ، وساعد على زيادة الشقاق والخلاف بين طوائفهم المختلفة ، والتى تعزز انقسامها بعد هذا التحول فى وضعهم السياسى ، وأخذت هذه الطوائف تحاول الانحياز لجانب أحدَ القبائل العربية فى المدينة ، والتحالف معها على حساب الطوائف الأخرى .

إن هذا التراجع فى مكانة اليهود لا يعنى بالضرورة أنهم فقدوا مكانتهم كاملة وفقدوا سيادتهم الاقتصادية ، ولكنهم حافظوا على هذه المكانة حتى ظهور الإسلام ، وساعدهم فى ذلك الخلافات والانقسام الذى حل بالقبيلتين الرئيسيتين فى يثرب الأوس والخزرج ، حيث لا يمكن أن يبرأ اليهود من أنهم لعبوا الدور الأكبر فى خلق هذا الانقسام ، وإذكاء نار الفتنة بين

القبائل العربية ، ويمكننا أن نفهم دوافع القتال بأن العرب كانوا باستمرار يسعون لتحطيم السيطرة الاقتصادية لليهود على المدينة ، فهذا الزعيم الخزرجي عمرو بن النعمان البياضي يعدُ قومه في يوم بُعاث : " والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريضة والنضير على عذب الماء وكريم النخل " (١٦٧).

إن افتقار المدينة لزعامة بارزة ، كما هو الحال في مكة توظف دورها في خدمة مصالحها الاقتصادية في داخل الحجاز وخارجه (١٦٨)، وعدم التجانس السكاني ، والتوتر السائد بين الجماعات اليهودية وغير اليهودية(١٦٩) ، هو الذي حال دون بروز المدينة كما هو الحال في مكة، مع أنها محطة مثلها على طريق القوافل إلى الشام ، وحتى أنها تملك من تنوع مصادر الثروة الاقتصادية أكثر من مكة .

وإن هذا التفسخ السياسي في المدينة هو الذي دفع سكانها من العرب لأن يسارعوا بالترحيب بالرسول ﷺ ودعوته إلى المدينة ، ومن منطلق التنافس الاقتصادي والخوف على المصالح ، يمكن فهم موقف اليهود ومقاومتهم للدعوة الإسلامية الجديدة ، التي هددت نفوذهم الى كانوا يتمتعون به قبل مجيء الرسول ﷺ ، وشعورهم بأنهم سيفقدونه حيث دفعهم هذا لإعلان المقاومة للإسلام منذ اليوم الأول لذلك كان لزامًا على الرسول ﷺ ليرسي دولته الجيدة من التخلص من هذا المنافس الأول في المدينة .

ب – علاقاتهم مع المناطق المجاورة :

يلاحظ أن بعض الباحثين لا يستبعدون وجود شبكة تجارية يهودية مزدهرة في هذا الوقت حيث يفسر هذا في رأيهم عدم وجود عمليات تجارية كبيرة بين مكة والمدينة " (١٧٠). ولكن هذا الرأي لا يوجد من الشواهد والدلالات ما يؤيده مما يدفعنا للافتراض بأن اليهود كغيرهم من القبائل الموجودة على هذا الطريق التجاري الذي سيطر عليه التجار القرشيون ، فكانت تقدم خدمات الأمن والحماية ، وتسهم في العمليات التجارية المتعلقة بذلك ، سواء أكان ذلك أثناء مرور القوافل في المدينة ، حيث يساعد هذا على قيام حركة تجارية نشطة ، أم بالاشتراك فعليًا بهذه التجارة ومرافقتها .

ومما يؤسف له أن الإشارات المتوفرة لدينا عن علاقة مكة ويثرب قبل الإسلام قليلة ، ولا تكوِّن بمجموعها رأيًا نستطيع الاستدلال بها عليه ، فقريش على ما تشعرنا هذه المصادر كانت تحترم اليهود ، وترى أنهم أهل الكتاب الأول (١٧١)، وكان اليهود بالمقابل يجلون القرشيون ويعتبرونهم سادة العرب وملوك الناس (١٧٢).

وترد بعض الإشارات عن صلة بعض اليهود بالمكيين ومحالفتهم لهم ، وإقامتهم بمكة للاتجار (١٧٣). ولكن هذه الإشارات لا تعطينا مبرراً نستطيع به أن نفترض بأنه كان هناك وجود واسع لليهود في مكة . ويرى جواد علي " أنه من المرجح أنه لم تكن في مكة جالية يهودية كبيرة ، حتى لم يرد في الآيات المكية إشارات لوجود اليهود ، للاحتكاك بينهم وبين الرسول ﷺ ، ومن المحتمل أن المستقرين منهم في مكة لا يتجاوزون أفراداً قلائل " (١٧٤).

كما لا يستبعد أن يكون لليهود علاقات مع الطائف التي كان بها قوم من اليهود طردوا من اليمن أو يثرب ، وجاءوا إلى الطائف وسكنوا بها ، ودفعوا الجزية لسادتها ، ومن بعضهم اشترى معاوية أمواله بالطائف (١٧٥).

كما تذهب مصادرنا بعيداً حيث ترى أن بدايات الزراعة في الطائف كانت على أيدي هؤلاء اليهود " وكان قصي قد مر بيهودية بوادي القرى حين قتل المصدق فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطائف فأطعمت ونفعته " (١٧٦).

ولا يستبعد أيضاً أن يكون لليهود علاقات تجارية واسعة مع بلاد الشام حيث كانوا يجلبون من هناك الحبوب والخمور ، ويبدو أنه كانت هناك زيارات متبادلة بينهم وبين تجار بلاد الشام، فترد إشارات من نزول الساقطة في الجاهلية والإسلام بالمدينة ، يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش وما يكون في الشام " (١٧٧). إن ندرة الإشارات المتوفرة عن النشاط اليهودي الخارجي والعلاقات الخارجية قبل الإسلام تجعل الصورة التي نكونها عن ذلك باهتة كثيراً .

الخاتمة :

المحصلة النهائية التي يمكن لنا أن نستخلصها من ملاحظتنا للنشاط اليهودي في الحجاز هو أن هؤلاء اليهود مثلهم مثل غيرهم من سكان الحجاز مارسوا الأعمال الاقتصادية المألوفة وخصوصاً العمل في الزراعة ، حيث إن اليهود استوطنوا أصلاً في أهم الواحات الزراعية في منطقة الحجاز وسيطروا على هذه الواحات سيطرة تامة إلى الحد الذي تعتبرهم مصادرنا بأنهم أول من سكن هذه البلاد ، وقام بين هذه القبائل اليهودية والقبائل العربية التي جاورتهم خصوصاً في يثرب تنافس اقتصادي واسع قد يشعرنا بتأذي هذه القبائل العربية التي هاجرت من اليمن بعد خراب سد مأرب من هذه السيطرة الاقتصادية لليهود في الحجاز ، ويظهر أنهم استعانوا بقوى خارجية للحد من هذه السيطرة .

إن الموقع الممتاز على طرق القوافل التجارية القادمة من اليمن إلى شمال بلاد الشام لهذه الواحات الزراعية التي استوطن بها اليهود سواءً أكان في يثرب أم خيبر أم فدك أم وادى القرى أم تيماء جعلت اليهود أيضًا يلعبوا دورًا تفترض أنه لم يكن قليلاً في النشاط التجارى في الحجاز ويبدو أنهم كانوا يسهمون في عمليات البيع والشراء والتبادل التجارى مع هذه القوافل التجارية ولا يستبعد أنهم عقدوا حلفًا مع قريش ، شاركوا بموجبه في هذه القوافل التجارية القرشية . ولا يستبعد أنهم أقاموا علاقات تجارية واسعة مع بلاد الشام واليمن مثلهم مثل تجار مكة الآخرين . ولكن تبقى معلوماتنا عن هذا النشاط التجارى اليهودى قليلة ، لا تكون بمجموعها صورة واضحة المعالم ، وتظل افتراضات لها ما يبررها من الإشارات الواردة في مصادرنا ، ويمكن القول إن عداء هؤلاء اليهود للدعوة الإسلامية حال دون وصول أخبارهم إلينا ولكننا نستطيع القول بأن اليهود مارسوا مختلف العمليات الاقتصادية ، التى كانت تمارس في تلك الفترة . ولا نستطيع أن نحصرهم في ممارسة مهن معينة بالرغم من أنهم تفوقوا ببعض منها ، كما لم تكن ممارسة العمليات الربوية حكرًا على هؤلاء اليهود ، بل كانت ممارسات عامة في زمانهم برزوا في بعض منها .

وأخيرًا لابد من القول بأنني حاولت في هذا البحث أن أقدم صورة واضحة المعالم لمختلف جوانب النشاط الاقتصادى اليهودى ، وصورة مبسطة عن علاقات هؤلاء اليهود الداخلية في يثرب والتى امتازت بالتنافس والنزاع سواء أكان قبل الإسلام أم بعده . والتى لا تخلو من دوافع اقتصادية ، وتظهر عدم الرضا من قبل القبائل العربية على هذا التفوق اليهودى وهذه السيطرة على الأراضى الخصبة في يثرب ، وما يلعبه هؤلاء اليهود من دور في إذكاء نار الخلاف بين القبيلتين الأساسيتين في يثرب (الأوس والخزرج) حتى لا توحد وجهات نظرها في مقاومة اليهود واستمر هذا التنافس حتى استطاع الرسول أن يجلى هؤلاء اليهود عن يثرب، وأكمل خطوته هذه عمر بن الخطاب حيث أبعدهم عن الحجاز كليًا .

أما بالنسبة للعلاقات الخارجية بين اليهود والمناطق المجاورة فتبقى ناقصة إلى حد كبير لعدم توفر الإشارات التى تدعم افتراضنا بوجود مثل هذه العلاقات ويبقى البحث في تاريخ الوجود اليهودى في الحجاز وفعالياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية موضوع بحاجة للدراسة والعناية للخروج بصورة متكاملة عن يهود الحجاز قبل الإسلام وبعده .

الهوامش

١ – المقدسى ، شمس الدين أبو عبد اللهِ محمد بن مفلح ، (ت٣٧٥هـ) ، " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " ، بيروت ، مكتبة خياط ١٩٠٦م ، ص ٦٩ . ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ، (ت ٦٢٦هـ) ، " معجم البلدان " ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م ، جـ٢ ، ص ٢١٨ – ٢١٩ .

٢ – الاصطخرى ، إبراهيم بن محمد الفارسى ، (ت ٣٥٠ هـ) ، " المسالك والممالك " ، تحقيق محمد جابر ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٩٦١م ، ص ٢١ .

٣ – ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، (ت- ٣٠٠هـ) ، " المسالك والممالك " ، ليدن ، مطبعة بريل ، سنة ١٩٦٧م ، ص ١٢٨ .

٤ – ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى ، (ت٣٦٧هـ) ، " صورة الأرض " ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ص ٣٨ . ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح ، يوسف بن يعقوب ، ت (٦٩٠هـ) ، " صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المتبصر " ، تصحيح أوسكر لوفغرين ، ليدن ، بريل، ١٩٥١م ، جزءان ، جـ١ ، ص ٣٩ – ٤٠ .

٥ – البكرى ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) ، " معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع " ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٤ أجزاء ، ١٩٤٥م ، جـ١ ، ص ١١ . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢١٩ .

٦ – الشريف ، أحمد إبراهيم ، " مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول " ، دار الفكر العربى ، دار وهدان للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥م ، ص ١٣ .

٧ – القزوينى ، زكريا بن محمد بن محمود (١٢٨٣هـ) ، " آثار البلاد وأخبار العباد " ، بيروت ، دار صادر، ١٩٦٠م ، ص٨٤ .

٨ – المسعودى ، على بن الحسن ، ت (٣٤٦هـ) ، " مروج الذهب ومعادن الجوهر " ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٥م ، جـ٢ ، ص ٣٥ .

٩ – الهمدانى ، الحسن بن أحمد ، ت (٣٣٤هـ) ، " صفة جزيرة العَرب " ، تحقيق محمد عبد الله النجداوى، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٥٠ .

١٠ – البكرى ، " معجم ما استعجم " جـ١ ، ص ٩ .

١١ – الحورانى ، جورج فضلوا ، " العرب والملاحة فى المحيط الهندى " ، ترجمة يعقوب بكر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط١ ، ١٩٥٨م ، ص ٥٨ .

١٢ – الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة ، ص ١٦ – ١٧ .

١٣ – اليعقوبى ، أحمد بن أبى واضح ، ت (٢٩٢هـ) ، " تاريخ اليعقوبى " ، بيروت دار صادر ، مجلدان ، جـ٢ ، ص ٥٢ .

١٤ – السمهودى ، نور الدين على بن السيد الشريف أبو المحاسن أحمد الشافعى ، ت (٩١١هـ) ، " وفا الوفا بأخبار دار المصطفى " ، مطبعة الآداب والمؤيد ، مصر ، ١٣٢٦هـ ، جـ١ ، ص ١٦٢ .

١٥ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١٦٢ .

١٦ – السامرائى ، خليل إبراهيم ، " المظاهر الحضارية للمدينة المنورة وعصر النبوة " ، منشورات مكتبة البسام ، الموصل ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م ، ص ١٧ .

١٧ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٠٤ – ٣٠٩ .

١٨ – على ، جواد ، " المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام " ، دار العلم للملايين ، مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٧٠م ، جـ٦ ، ص ٥١٣ .

١٩ – البلاذرى ، أبو الحسن يحيى بن جابر ، ت (٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨م ، ص ٢٩ .

٢٠ – الأصفهانى ، أبو الفرج ، " كتاب الأغانى " ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م ، جـ٢٢ ، ص ٩٩ .

٢١ – ولفنسون ، إسرائيل ، " تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام " ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، الطبعة الأولى ١٩٢٧م ، ص ١٠ .

٢٢ – الطبرى ، محمد بن جرير – ت (٣١٠هـ) ، " تاريخ الرسل والملوك " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، جـ١ ، ص ٢٨٩ ، السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ١٦٠ .

٢٣ – بيضون ، إبراهيم ، " الحجاز والدولة الإسلامية " ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م ، ص ٤١ – ٤٢ .

٢٤ – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٧ .

٢٥ – ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٨٢ .

٢٦ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٨٧ – ٢٨٨ .

٢٧ – أبو الفرج الأصفهانى ، كتاب الأغانى ، جـ٢٢ ، ص ٩٩ .

٢٨ – ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٢٣٤ . ابن رسته ، أبو على أحمد بن عمر ، ت (٢٩٠هـ)، " الأعلاق النفيسة " دى غويا ، ليدن ، ١٨٩١م ، ص ٦١ . السمهودى ، " وفا الوفا " جـ١ ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

٢٩ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٩٧ .

٣٠ – ابن سعد ، محمد بن سعد ، ت(٢٣٠هـ) ، " الطبقات الكبرى " دار بيروت ، دار صادر بيروت ١٩٥٧م، بلا طبعة ، جـ١ ، ص ٢٧٩ .

٣١ – السامرائى ، المظاهر الحضارية للمدينة ، ص ١٨ .

٣٢ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ١٥٩ – ١٦٥ . الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٩٦ .

٣٣ – الواقدى ، المغازى ، جـ٢ ، ص ٧٠٣ .

٣٤ – ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٤٠٩ .

٣٥ – البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ .

٣٦ – ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٣٣٨ .

٣٧ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٧ .

٣٨ – ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص ٢٧٩ .

٣٩ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢٧٩ .

٤٠ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢٧٩ .

٤١ – البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٦٣ . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ١٠ .

٤٢ – البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص ٧٢ – ٧٣ .

٤٣ – جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٦ ، ص ٥٣٠ .

٤٤ – ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٨٣ .

٤٥ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ٢ ، ص ٢١٨ – ٢٩١ .

٤٦ – ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٨٢ .

٤٧ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ٢ ، ص ١٢٠ .

٤٨ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٢١ .

٤٩ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٢٥ .

٥٠ – ابن قتيبة ، أبى محمد بن عبد الله بن مسلم ، ت (٢٧٦هـ) ، المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٨٣ .

٥١ – البخارى ، صحيح البخارى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، جـ٣ ، ص ١١١ .

٥٢ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ٢ ، ص ١٢١ – ١٢٧ .

٥٣ – أبو الفرج الأصفهانى ، الأغانى ، جـ١٣ ، ص ١٨ .

٥٤ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٥٧ .

٥٥ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ٦٣ – ١٣٧ . الكتانى ، عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى ، " نظام الحكومة المدنية المسمى التراتب الإدارية " ، تحقيق حسن جعين ، بيروت ، جزءان ، دار الكتاب العربى ، جـ١ ، ص ٤٠٠ – ٤٠٣ . السمهودى ، وفا الوفا ، جـ٢ ، ص ١٥٥ .

٥٦ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ٧٨ .

٥٧ – الخزاعى التلمسانى ، أبو على الحسن بن محمد ، ت (٧٨٩هـ) ، " تخريج الدلالات السمعية " ، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م ، ص ٦٦٩ .

٥٨ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٥٧ .

٥٩ – الواقدى ، محمد بن عمر ، ت (٢٠٧هـ) ، " كتاب المغازى " ، تحقيق مارسدن جوينز ، عالم الكتب، بيروت ، (بلا طبعة وتاريخ) ، جـ١ ، ص ٢٨٩ .

٦٠ – البلاذرى ، فتوح ، ص ٣٢ .

٦١ – الواقدى ، المغازى ، جـ٢ ، ص ٦٩٠ .

٦٢ – البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٦ .

٦٣ – الواقدى ، المغازى ، جـ٢ ، ص ٧٢٩ .

٦٤ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٤٤ .

٦٥ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٤٤ .

٦٦ – ياقوت الحموى ، معجم ، جـ٢ ، ص .

٦٧ – البخارى ، صحيح ، جـ٥ ، ص ١٧٨ .

٦٨ – الواقدى ، المغازى ، جـ٢ ، ص ٦٩٣ .

٦٩ – ابن شبه ، تفاريخ المدينة المنورة ، جـ١ ، ص ١٧٧ .

٧٠ – الشريف ، أحمد ، " دور الحجاز فى الحياة السياسية والعامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة " ، ص ٦٠ . سلام ، شافعى محمود سلام ، " النشاط الزراعى فى خيبر " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م ، ص ٢٦ .

٧١ – ابن كثير ، السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص ٣٨٣ .

٧٢ – البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ٢ ، ص ٥٢٣ .

٧٣ – الواقدى ، المغازى ، جـ٢ ، ص ٦٩٣ .

٧٤ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٦٤ .

٧٥ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٥٨ .

٧٦ – سلام ، النشاط الزراعى ، ص ٢٧ .

٧٧ – السهيلى ، الروض الأنف ، جـ٦ ، ص ٥٢٧ .

٧٨ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٥٨ .

٧٩ – ابن قتيبة ، (ت ٢٧٦هـ) ، " عيون الأخبار " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، جـ٣ ، ص ٢٧٠ .

٨٠ – عروة بن الزبير ، " مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم " ، ص ١٩٥ . الحلبى ، " إنسان العيون وسيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية " ، بيروت ، ١٩٨٠م ، جـ٢ ، ص ٧٥١ .

٨١ – ابن الفقيه الهمدانى ، كتاب البلدان ، ص ٢٥ .

٨٢ – ابن هشام ، عبد الملك ، ت (٢١٣هـ) ، " السيرة النبوية " ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ٤ أجزاء، دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان ، جـ٢ ، ص ١٦٤ .

٨٣ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ١٠٧ .

٨٤ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٥٩ .

٨٥ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ٨٥ – ٨٧ .

٨٦ – ابن هشام ، السيرة ، جـ٣ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

٨٧ – ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ١٧ .

٨٨ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ١٥٩ – ١٦٥ . الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٩٦ . هيكل ، فى منزل الوحى ، ص ٦١٨ .

٨٩ – السامرائى ، المظاهر الحضارية للمدينة ، ص ١٩ .

٩٠ – ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ١١٦ .

٩١ – سورة الحشر ، أية ١٤ .

٩٢ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ٢ ، ص ١٥٨ . العلى ، صالح أحمد ، خطط المدينة المنورة ، مجلة العرب ، عدد ١٢ ، أيلول ١٩٦٧م ، الرياض ، ص ١٠٧٤.

٩٣ – الواقدى ، المغازى ، جـ١ ، ص ١٨٤ . الطبرى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨٧ .

٩٤ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ١٦٣ .

٩٥ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١٦٤ .

٩٦ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

٩٧ – الطبرى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٥٠٥ – ٥٦٨ .

٩٨ – البلاذرى ، فتوح ، ص ٣٨ – ٣٩ .

٩٩ – ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٤٩ .

١٠٠ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٧ .

١٠١ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٧٥ .

١٠٢ – المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ، (ت ٨٤٥هـ) ، إمتاع الأسماع ، تصحيح محمود محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٤١م ، جـ١ ، ص ٢٤٥ .

١٠٣ – الخزاعى ، الدلالات السمعية ، ص ١١٥ – ١١٦ .

١٠٤ – السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب ، ص ٤٠٤ .

١٠٥ – أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٧٧ .

١٠٦ – أحمد با شميل ، غزوة بنى قريضة ، ص ٤٧ .

١٠٧ – الواقدى ، المغازى ، جـ١ ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

١٠٨ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٢٧٧ .

١٠٩ – أبو الفرج الأصفهانى ، الأغانى ، جـ٢١ ، ص ٦٢ .

١١٠ – الواقدى ، المغازى ، جـ٢ ، ص ٦٧١ .

١١١ – المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٧٣ .

١١٢ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ١٩٨ .

١١٣ – الخزاعى ، الدلالات السمعية ، ص ٤٠١ .

١١٤ – المصدر نفسه ، ص ٦٧٦ – ٦٧٧ .

١١٥ – الواقدى ، المغازى ، جـ٢ ، ص ٥١٠ .

١١٦ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١٤٢ .

١١٧ – ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ ، ص ٥٤ .

١١٨ – ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص ٢١٢ . البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ٦١ .

١١٩ – الخزاعى ، الدلالات السمعية ، ٦٦٥ – ٦٦٨ .

١٢٠ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٧٨ .

١٢١ – سالم ، السيد عبد العزيز ، دراسات فى تاريخ العرب والدولة العربية ، جـ٢ ، ص ١٤٠ .

١٢٢ – بيضون ، إبراهيم ، دور الحجاز ، ص ٢٤ . جواد على ، المفصل ، جـ٧ ، ص ٣٩٢ .

١٢٣ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٦٤ .

١٢٤ – القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٣٨٣ . سورة النساء ، الآية ٢٩ . سورة التوبة ، الآية ٢٤١ .
سورة النور ، الآية ١٦٠ . سورة الجمعة ، الآية ٩ – ١١ .

١٢٥ – محمد أحمد باشميل ، غزوة بنى قريضة ، ص ٤٥ – ٤٧ .

١٢٦ – الطبرى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٧٩ .

١٢٧ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ٢١٢ – ٢١٣ . العلى خطط المدينة ، ص ١١٦٣ – ١١٦٥ .

١٢٨ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ٢ ، ص ٧٤٧ – ٧٤٨ . الكتانى ، التراتب الإدارية ، جـ٢ ، ص ١٦٣ .
العلى ، خطط المدينة ، ص ١١١٨ .

١٢٩ – ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص ٢٩٤ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٧٩ .

١٣٠ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ١٢ – ١٣ .

١٣١ – الواقدى ، المغازى ، جـ١ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

١٣٢ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ١٩ – ٣٠ .

١٣٣ – العلى ، خطط المدينة المنورة ، ص ١١١٨ .

١٣٤ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ٢ ، ص ٧٤٧ – ٤٧٨ .

١٣٥ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ٥٤٤ – ٥٤٥ . البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ٦٢ .

١٣٦ – السامرائى ، المظاهر الحضارية ، ص ٢٦ .

١٣٧ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٦٦ .

١٣٨ – عوض الله ، أحمد أبو الفضل ، مكة فى عصر ما قبل الإسلام ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

١٣٩ – الطبرى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٥٧ . الواقدى ، المغازى ، جـ١ ، ص ٦٥ .

١٤٠ – عوض الله ، مكة فى عصر ما قبل الإسلام ، ص ١٣٢ .

١٤١ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ٦٨ . الخزاعى ، الدلالات السمعية ، ص ٦٤٤ .

١٤٢ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ٧١ – ٧٢ .

١٤٣ – المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ٧١ – ٧٣ .

١٤٤ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ٥٤٦ .

١٤٥ – البخارى ، صحيح ، جـ٣ ، ص ١١٠ .

١٤٦ – المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ١١٢ .

١٤٧ – المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

١٤٨ – المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ١١٠ .

١٤٩ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٦٨ .

١٥٠ – القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية ١٦١ .

١٥١ – القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية ١٣١ .

١٥٢ – القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ – ٢٧٦ .

١٥٣ – البخارى ، صحيح ، جـ٢ ، ص ١١٦ .

١٥٤ – ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ١٨ .

١٥٥ – جواد على ، المفصل ، جـ٦ ، ص ٥٣٥ – ٥٣٦ .

١٥٦ – البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص ٧٢ – ٧٣ .

١٥٧ – ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٦٧ . السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ١٧٤ .

١٥٨ – الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣١٥ .

١٥٩ – أبو الفرج الأصفهانى ، الأغانى ، جـ١٩ ، ص ٩٦ .

١٦٠ – السمهودى ، وفا الوفا ، جـ١ ، ص ٨٣ .

١٦١ – المدنى ، توفيق ، المجتمع المدنى والدولة السياسية فى الوطن العربى ، مجلة دراسات ١٩٩٧ ، من موقع File : IIA:]1997. HTM .

١٦٢ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٨٤ .

١٦٣ – ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ٨٤ .

١٦٤ – الأصفهانى ، الأغانى ، جـ١٩ ، ص ٩٧ .

١٦٥ – ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ٨٤ .

١٦٦ – بيضون ، دور الحجاز ، ص ٤٢ .

١٦٧ – الأصفهانى ، الأغانى ، جـ١٥ ، ص ١٥٤ – ١٥٩ .

١٦٨ – بيضون ، دور الحجاز ، ص ٤٤ .

١٦٩ – محمد عبد الحى شعبان ، تاريخ صدور الإسلام والدولة الأموية ، ص ٢٠ .

١٧٠ – المرجع نفسه ، ص ٢٠ .

١٧١ – ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ١ ، ص ٣٣٠ .

١٧٢ – المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٤٣١ .

١٧٣ – ابن سعد ، جـ١ ، ص ١٤٤ . البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

١٧٤ – جواد على ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ٢٣٥ .

١٧٥ – البلاذرى ، فتوح ، ص ٦٨ .

١٧٦ – البلاذرى ، أنساب ، جـ١ ، ص ٢٧ .

١٧٧ – الواقدى ، المغازى ، جـ١ ، ص ١٦ .

المصادر والمراجع

أ – المصادر :

١ – الأصفهانى ، أبو الفرج علىّ بن الحسين (٣٥٦ هـ / ٩٦٦م) : كتاب الأغانى ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار الثقافة ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م.

٢ – الاصطخرى ، إبراهيم بن محمد الفارسى ، ت (٣٥٠ هـ / ٩٦١م) : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

٣ – البخارى ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦ هـ / ٨٦٩م) : صحيح البخارى ، دار إحياء التراث العربى بيروت ، لبنان .

٤ – البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، ت (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٤ أجزاء ، ١٩٤٥م.

٥ – البلاذرى ، أبى الحسن يحيى بن جابر ، ت (٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) :

– فتوح البلدان ، مراجعة رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

– أنساب الأشراف ، الجزء الأول تحقيق محمد حميد الله ، معهد المخطوطات العربية ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الأولى ١٩٥٩م.

٦ – الحلبى ، ت (١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥م) : إنسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، الجزء الثانى .

٧ – ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالى ٣٠٠هـ / ٩١٢م) : المسالك والممالك ، بغداد مكتبة المثنّى .

٨ – الخزاعى التلمسانى ، أبو على الحسن بن محمد، ت (٧٨٩هـ / ١٣٨٧م) : تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨١م .

٩ – ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى ، ت (٣٦٧ هـ / ٩٧٧م) : صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة .

١٠ – الديار البكرى ، حسن بن محمد بن الحسن ، ت (٩٦٦هـ / ١٥٥٨م) : تاريخ الخميس، الطبعة الأولى ١٣٠٢هـ ، القاهرة ، مطبعة عثمان عبد الرازق ١٨٨٤م .

١١ – ابن رستة ، أبو على أحمد بن عمر ، ت (٢٩٠هـ / ٩٠٢م) : الأعلاق النفيسة ، دى غويا ، لندن ١٨٩١م .

١٢ – ابن الزبير ، عروة ، ت (٩٣ هـ / ٧١١م) : " مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، جمع وتحقيق محمد الأخطى ، ط١ ، منشورات مكتبة التربية العربية لدول الخليج ، الرياض (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

١٣ – ابن سعد ، محمد بن سعد ، ت (٢٣٠هـ / ٨٤٥م) : الطبقات الكبرى ، دار بيروت ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م.

١٤ – السهيلى ، ت (٥٨١ هـ / ١١٨٥م) : " الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام " ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، القاهرة ، ٣٩٠هـ / ١١٧٠م ، الجزء السادس .

١٥ – السمهودى ، نور الدين على بن السيد الشريف الشافعى ، ت (٩١١هـ / ١٩٧٩م) : وفا الوفا ، بإخبار دار المصطفى ، مطبعة الآداب والمؤيد ، مصر ١٣٢٦هـ .

١٦ – ابن شبة ، ت (٢٦٢ هـ / ٨٧٥م) : " تاريخ المدينة المنورة " ، أربعة أجزاء ، تحقيق فهيم شلتوت ، دار الأصفهانى ، جدة ، (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م) .

١٧ – الطبرى ، محمد بن جرير ، ت (٣١٠ هـ / ٩٢٣م) : " تاريخ الرسل والملوك " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف (بدون تاريخ) .

١٨ – ابن قتيبة ، أبى محمد عبد الله بن مسلم ، ت (٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) :

– المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٩م.

– " عيون الأخبار " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م.

١٩ – القزوينى ، زكريا بن محمد بن محمود ، ت (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت دار صادر ١٩٦٠م .

٢٠ – الكتانى ، عبد الحى بن عبد الكبير ، ت (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) : نظام الحكومة المدنية المسمى التراتيب الإدارية ، بيروت ، تحقيق حسن جعين ، جزءان دار الكتاب العربى .

٢١ – ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر ، ت (٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) : البداية والنهاية فى التاريخ ، دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى ١٩٣٢م.

٢٢ – ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ، ت (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المتبصر ، تصحيح أوسكار لوفغرين ، ليدن بريل ، جزءان ١٩٥١م.

٢٣ – المسعودى على بن الحسن ، ت (٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٥م.

٢٤ – المقدسي ، محمد بن أحمد بن أبى بكر البشارى ، ت (٣٧٥ هـ / ٩٨٥م) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، بريل ، ١٩٠٦م.

٢٥ – المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ، (٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) : إمتاع الأسماع ، تصحيح محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٤١م.

٢٦ – ابن هشام ، عبد الملك ، ت (٢١٨ هـ / ٨٣٣م) : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ٤ أجزاء ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٢٧ – الهمدانى ، الحسن بن أحمد ، ت (٣٣٤ هـ / ٩٤٦م) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد عبد الله النجدى ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

٢٨ – الواقدى ، محمد بن عمر ، ت (٢٠٧ هـ / ٨٢٢م) : كتاب المغازى ، تحقيق مارسدن جونز ، ٤ أجزاء ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ .

٢٩ – ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ، ت (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) : معجم البلدان، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م.

٣٠ – اليعقوبى ، أحمد بن أبى واضح ، ت (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) : تاريخ اليعقوبى ، مجلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م.

ب – المراجع

١ – باشميل ، محمد أحمد : غزوة بنى قريظة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٦٦م.

٢ – بيضون ، د. إبراهيم : الحجاز والدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م.

٣ – الحورانى ، جورج فضل : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، فى العصور القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

٤ – سالم ، السيد عبد العزيز :

– تاريخ العرب والعصر الجاهلى ، دار النهضة العربية ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٩٧١م .

– دراسات فى تاريخ العرب والدولة العربية .

٥ – السامرائى ، خليل إبراهيم : المظاهر الحضارية للمدينة المنورة وعصر النبوة ، منشورات البسام ، الطبعة الأولى ، الموصول ، ١٩٨٤م.

٦ – سلام ، سلام شافعى محمود ، " النشاط الزراعى فى خيبر فى الجاهلية وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م.

٧ – الشريف ، أحمد إبراهيم :

– دور الحجاز فى الحياة السياسية والعامة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

– مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر العربى ، دار وهران للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥م.

٨ – شعبان ، محمد عبد الحى : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، الدار المتحدة للنشر والتوزيع .

٩ – العقيلي ، محمد أرشيد : اليهود فى الجزيرة العربية ، الطبعة الوطنية ، عمان ، ١٩٨٠م.

١٠ – على ، جواد : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، مكتبة النهضة بغداد ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٠م.

١١ – عوض الله ، أحمد أبو الفضل : مكة فى عصر ما قبل الإسلام ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨م.

١٢ – هيكل ، محمد حسين : فى منزل الوحى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٥م.

١٣ – وات ، مونتفجرى : محمد فى المدينة ، تعريب سفيان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة .

١٤ – ولفنسون ، إسرائيل : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة الاعتماد ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٧م.

جـ – الدوريات :

١ – العلى ، صالح أحمد : خطط المدينة المنورة ، مجلة العرب ، عدد ١٢ ، أيلول ١٩٦٧م ، الرياض .

٢ – المدنى ، توفيق : المجتمع المدنى والدولة السياسية فى الوطن العربى ، مجلة دراسات ١٩٩٧م ، (File:11A:]1997.htm) .